2000 0411-0007a-2

تتذكر تما تنعاد

لعلها أفضل "حملة تلقيح" لبنانية ـــ ولا أقول وطنية أو سواها من التعابير والأوصاف لننأى بهذا العمل الحضاري عن أي تسييس تقليدي ـــ إنها أجمل الحملات الوقائية أن يوصف يوم ١٣ نيسان بيوم الذاكرة. فهي الذاكرة أولاً وأخيراً التي يمكنها أن تصنع السلام تماماً كما يمكنها أن تفجّر الحروب.

فماذا يجب أن ننسى من الحرب؟

أولاً : حسن استخدام الذاكرة لأن لا مستقبل في معزل عن الماضي ولكن الماضي متى أثقل على المستقبل أطاحه ورماناً في التخلف. إن لم ننس الوحشية التي تفجرت على خطوط التماس المقيتة سيبقى وقود الحرب في داخلنا بمثابة لاقط دائم لكل ما يفد على الذاكرة ويعيد شحنها لاستدرار العنف الذي نشأنا في حاضنته طوال نحو عقدين. وإن زال العنف مع خطوط التماس ومع المدفع الزائل، فسيستمر فينا في الطبائع المشحونة والتنشئة الحربية والثقافة الميليشيوية وإرث التعبئة الطائفية التي لا صلة لها البتة بالإيمان الديني.

ثانياً : يجب أن تمحى من ذاكرتنا فصول العار العام الذي لا تزال وجوه كثيرة منه متمادية حتى أيامنا هذه لألف سبب وسبب والتي تتمثل بتباهي أمراء تلك الحقبة السوداء ببطولات سوداء. فهؤلاء وإن فرضوا بحكم واقع سياسي في مواقع مسؤوليات مختلفة، لا يجوز في أي عرف حضاري وبدافع الممانعة المدنية على الأقل ما دمنا لا نملك وسيلة سواها أن يظلوا مؤثرين على مواطن الذاكرة لئلا تتعرض تكراراً لتشويه خطير كأن تمر الطريق إلى المسؤولية السياسية بمقياس شاذ يفرض من جهة الإدانة القسرية على فئة من الزعامات ويعفو من جهة أخرى على فئة أخرى من الزعامات.

هذا النوع من "العدالة" وإن فرضته وقائع السياسات الراهنة، يفترض محوه تماماً من ذاكرة الأجيال الناشئة لئلا تستوطنها الحروب في طبائعها وتتحول مثلنا ضحايا ولا تتعرف إطلاقاً إلى مفهوم العدالة الحقيقية.

ثالثاً : يجب أن ننسى منطق الإستقواء بالخارج الذي لم يوفر طائفة أو فئة وتناوب عليه اللبنانيون بتناوب موجات الجنون. لقد سبق اللبنانيون وساقوا أنفسهم أيضاً إلى مهرجان قبلي تمادى أكثر من ١٥ عاماً ثم ارتدى بعد الحرب أقنعة السلم لإسباغ وجه حضاري زائف على القبائل المتحفزة دوماً للوقوع تكراراً في الأفخاخ الحاضرة. وإن لم ننس ذلك، فالحاضر أشد وطأة من الماضي، فلن يغيّر فينا الألف الثالث، ألف الإنترنيت والعولمة أي طبع قبلي.

(أما ماذا يجب ألا ننسى فتلك المسالة الأدهى).

أولاً : أن نتعلم العصيان على ما يراد لنا يومياً أن ننساه، وهو أن لبنان لا يزال مخطوفاً ورهينة. فلتحذر الضحية نسيان أنها ضحية وإلا ذبحت يومياً وهي غافلة. ولنا في يومياتنا الحاضرة ألف شاهد وشاهد، ويكفينا منها أن مصيرنا يرسم في كل مكان إلا في لبنان، ولبنان مغيّب عن كل مائدة فيما هو مسرح جنون ومسرح المصالح ومسرح التقاسم والسيناريوات المرعبة والمفزعة ولا يد له ولا طول حتى في مجرد الصراخ.

ثانياً : حذار أن ننسى مئات ألوف الشهداء في كل الساحات. فكل من قضى في الحرب الخارجية على لبنان، وحرب اللبنانيين على أنفسهم شهيد. وحذار أن ننسى ألوف المخطوفين، فهؤلاء هم الذاكرة الحية الباقية في سراديب المجهول. إن شعباً ينسى شهداءه ومخطوفيه يعني أنه مؤهل في أي لحظة لدفع ألوف جديدة إلى المحرقة.

ثالثاً : علينا ألا ننسى أن ميزان القوى والضعف وحده هو الذي أسقط لبنان في أتون الحرب. لو كان في لبنان دولة حقة لما وقعت الحرب. لو كان لبنان قوياً لما انهارت أسواره

2000 0411-00076-12

وحصونه في الداخل وعلى الحدود. ولو كان لبنان ديمقراطيا حقا لما اندلعت حرب في الداخل لتشكل واجهة لحرب الخارج على لبنان.

باختصار إن لم يعد لبنان سيّد نفسه لن تنفع ذاكرة في منع الحروب فيه وعليه. فهنا أولاً وأخيراً كل المسألة.

نبيل بو منصف.